



لم أكتب هذه المقالة دعايةً لهيئة الشام الإسلامية، فهي في غنىً عن دعايتي بما كتبه الله لها من حسن السمعة وطيب الذكر، إنما هي شهادةً حق أردت بها الترويج لمبدأ عظيم من مبادئ العمل الجماعي، مبدأ تحتاج إليه الثورة اليوم وتنتفع الأمة به في سائر الأيام.

كانت هيئة الشام من أوائل المنظمات الإسلامية التي تصدّرت لحمل العبء الثوري في الداخل السوري وفي دول اللجوء، فقد ُلدت في شهر الثورة السابع، وتنوع نشاطها وتوسّع بسرعة فشمل الأعمال الإغاثية والطبية والتنموية والتعليمية والإعلامية والدعوية، فهي تبني الأيتام وتعول أسر المعتقلين والشهداء، وتغيث المحتاجين بالغذاء والكساء والدواء، وتنشئ المخابز والعيادات والمستشفيات الميدانية والمدارس والمعاهد الشرعية، وتدرّب وتكتّل الدعاة والمعلمين وتوزع الكتب الدراسية والدعوية، ويقوم مكتّبها العلمي على ثغرة مهمة فيصدر الفتاوى في المستجدات والتوازن التي يهتم بمعرفة أحكامها الشرعية العامة والمجاهدون.

* * *

قد يقول قائل: هذا كله مما تقوم به منظمات كثيرة في الثورة، فما المتميّز في هيئة الشام؟

أستطيع أن أثني على الاحترافية العالية التي تميّز عمل الهيئة، ولكن هذه أيضًا مما تملّكه منظمات ثورية أخرى بدرجات تنقص وتزيد، فهي ليست بيت القصيد، إنما هو المثل الذي ضربته هيئة الشام للثورة حينما تنازلت عن حظ الذات وقدّمت

المصلحة العامة، فنجحت في التخلص من المرض الذي أنهك الثورة وفتّ جسمها الكبير إلى قطع وجذازات، مرض التعصب للجماعة الصغيرة وتقييم الولاء لها على الولاء للأمة، وتفضيل مشروعها الجزئي المحدود على مشروع الأمة الجامع الكبير.

إن هيئة الشام مؤسسة إسلامية، بل يمكننا أن نقول إنها إسلامية سلفية، ولكنها لم تسمح لهذه الهوية بأن تكون عنصرًا تفريقيًا ومصدراً خالفاً مع الآخرين، من الإسلاميين ومن غير الإسلاميين، بل هي مدّت اليد وفتحت الباب للتعاون والتعامل والتكامل مع كل عامل مخلص يحمل همّ الثورة ويسعى إلى تحقيق هدفها القريب، وهو تحرير سوريا وإسقاط النظام.

أليس للهيئة هدف بعد ذلك ومشروع؟ بلـ، لا بد أنها تحمل مشروعًا وأن لها هدفاً ستسعى إليه بعد التحرير، فإن لها تصوّرها لمستقبل سوريا ولمنهج الإصلاح في الأمة، ولا بد أن تعمل عندهـ مستقلةً عن شركاء اليوم إذا اختلفت مشروعـاً لهم عن مشروعـاً وأهدافـاً لهم عن هدفـها، فتلك مرحلة أخرى في طريق العمل الإصلاحي لها رجالـها وأدواتـها وسوف تتنوع فيها وتتعدد المؤسسـات والمشروعـات، أما المرحلة الحاضـرة فإنـ المشروع فيها واحدـ والهدف واحدـ: إسقاطـ النظام وتحريرـ البلاد من الاستبداد والاستعبـاد.

* * *

إن الدرس الكبير الذي قدمته هيئة الشام الإسلامية للثورة السورية هو أن الاختلاف لا يسـوـغـ الخـلـافـ ولا يـبـرـ الخـصـومـةـ والـتـنـازـعـ والـتـشـتـتـ، بلـ يـنـبـغـيـ أنـ يـكـونـ عـنـصـرـ إـثـرـاءـ لـجـهـادـ الـأـمـةـ وـأـنـ يـدـخـلـ فـيـ بـابـ التـكـامـلـ فـيـ التـخـصـصـاتـ وـالـجـهـودـ. وـأـنـ الـذـيـ يـعـمـلـ فـيـ الـثـورـةـ لـيـعـيـبـهـ أـنـ يـحـمـلـ مـشـرـوـعـهـ خـاصـ، إـنـمـاـ يـعـيـبـهـ أـنـ يـقـدـمـ مـشـرـوـعـهـ عـلـىـ مـشـرـوـعـ الـأـمـةـ وـالـوـطـنـ (وـلـ تـنـاقـضـ بـيـنـ الـأـنـتـمـاءـ لـلـأـمـةـ وـالـأـنـتـمـاءـ لـلـوـطـنـ إـلـاـ فـيـ عـقـولـ الـجـهـلـةـ الـذـيـنـ لـمـ يـفـهـمـوـ إـلـاـ إـلـاـ فـيـ الـوـجـهـ الصـحـيـحـ) وـيـعـيـبـهـ أـنـ يـفـتـرـضـ أـنـ مـشـرـوـعـهـ حـقـ مـطـلـقـ وـمـشـرـوـعـ غـيرـ بـاطـلـ، وـأـنـ يـوـالـيـ وـيـعـادـيـ فـيـ طـرـيـقـهـ وـمـنـهـجـهـ لـاـ فـيـ الـحـقـ الـجـامـعـ الـذـيـ تـلـقـيـ عـلـيـهـ كـثـيرـ مـنـ الـمـشـرـوـعـاتـ إـلـاـمـيـةـ الصـالـحةـ.

إن المبادئ السابقة سهلـ رـصـفـهاـ فـيـ كـلـمـاتـ وـلـكـنـ عـزـيـزـ تـرـجـمـتـهاـ إـلـىـ وـاقـعـ، وـإـنـ أـكـثـرـ مـاـ نـحـتـاجـ إـلـيـهـ هـوـ الـقـدـوةـ وـالـمـثـلـ، الـجـمـاعـاتـ الـتـيـ تـعـبـدـ طـرـيـقـ بـأـفـعـالـهـ لـاـ بـشـعـارـاتـهـ، الـتـيـ تـسـعـ الـمـخـالـفـينـ وـتـسـتوـعـ الـمـخـالـفـينـ وـتـتـعـاـونـ مـعـ الـجـمـيعـ بـلـ إـقـصـاءـ وـلـاـ استـثـنـاءـ. مـنـ أـجـلـ ذـلـكـ اـسـتـحـقـتـ هـيـةـ الشـامـ إـلـاـمـيـةـ هـذـاـ الثـنـاءـ، لـأـنـ شـعـارـهـ الـعـمـلـ الـذـيـ نـطـقـ بـهـ الـأـفـعـالـ لـاـ الـأـقـوـالـ: **أـنـاـ أـعـمـلـ مـعـ كـلـ مـسـلـمـ مـنـ أـجـلـ خـيـرـ الـأـمـةـ، وـمـعـ كـلـ سـوـرـيـ مـنـ أـجـلـ قـضـيـةـ سـوـرـيـاـ وـثـورـتـهاـ وـتـحـرـيرـهـاـ مـنـ الـاحـتـالـلـ.**

لـيـتـ الـفـصـائـلـ وـالـقـوـىـ الـثـورـيـةـ كـلـهاـ تـنـهـيـ هـذـاـ الـمـنـهـجـ الـخـيـرـ فـتـضـحـيـ -ـوـلـوـ مـرـحـلـيـاـ- بـمـشـرـوـعـاتـهـ الـخـاصـةـ وـتـتـنـازـلـ -ـوـلـوـ جـزـئـيـاـ- عـنـ مـنـاهـجـهـ وـهـوـيـاتـهـ فـيـ سـبـيلـ الـعـمـلـ الـمـشـرـكـ، فـقـدـ تـعـبـتـ سـوـرـيـاـ مـنـ التـشـظـيـةـ وـالـتـفـتـيـتـ، وـقـدـ طـوـلـتـ الـفـرـقـةـ الـطـرـيـقـ وـضـاعـفـتـ مـعـانـاـتـ الـنـاسـ. بـارـكـ اللـهـ فـيـ جـهـودـ هـيـةـ الشـامـ وـجـزـىـ جـنـوـدـهـاـ الـمـجـهـولـينـ خـيـرـ الـجـزـاءـ.

الزلزال السوري

المصادر: